

المعجم في " كليلة و دمنة "

بين مطرقة الكتابة الإبداعية و سندان الذاكرة

د.وداد نور الدين منصوري

جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

كلية العلوم و الدراسات الإنسانية بالجبيل

كليلة و دمنة... هذا الكتاب الذي ملأ الدنيا و شغل الدارسين و ألهم الأدباء، هذا المعين الذي لا تنضب معانيه و لا تنتهي دلالاته... لقد تميز أثر بقصص رمزية أنطق فيها صاحبها الحيوان بما قد يعجز عن قوله بنو البشر، فكان أن اختفت وراء السطورِ سطورٌ، و وراء المعاني معانٍ خفيةً، في الكتاب تلاعب جريء بالكلمات... و فيه من الثنائيات ما صنع ثراء هذا الكنز الأدبي.... فتميّز هذا العمل الفريد من نوعه بمعجم ثريّ تمازجت فيه الأضداد بل و اتحدت و تقابلت فيه المترادفات و اختلفت فألفيناه بحرا من المعاني و أفقا رحبا مليئا بالدلالات و الرموز.... و وجدناه بكل ما فيه من ظواهر معجمية و دلالية إلى سلطة الكتابة الإبداعية تارة.... و إلى قيود الذاكرة و متطلباتها طورا..... المعجم في كليلة و دمنة بين سلطة الكتابة الإبداعية و تداعيات الذاكرة...

تمهيد

كليلة و دمنة أثر أدبي و كنز لغوي زاخر بالعبر و الحكم و الرموز و الدلالات و يُجمع الدارسون على أن كتاب كليلة و دمنة هندي الأصل، صنّفه البراهما و شنو باللغة السنسكريتية في أواخر القرن الرابع الميلاديّ، وأسماه بنجا تنترا، أي

الأبواب الخمسة. و في مُنتصف القرن الثامن الميلادي، نُقل الكتاب في العراق من الفهلوية إلي العربية، وكان ذلك علي يد الأديب عبد الله بن المقفّع.

يعرف ابن المقفّع كتاب كليلة و دمنة في {باب عرض الكتاب} قائلا :

" هذا كتاب { كليلة ودمنة} وهو مما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا، ولم تنزل العلماء من كل أمة ولسان يلتمسون أن يعقل 1 عنهم ويحتالون لذلك بصنوف الحيل ويبتغون إخراج ما عندهم من العلل في إظهار ما لديهم من العلوم والحكم، حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطير فاجتمع لهم بذلك خلال 2 أمّا هم فوجدوا منصرفًا 3 في القول وشعابًا يأخذون منها ووجهًا يسلكون فيها، وأمّا الكتاب فجمع حكمة ولهوا فاختاره الحكماء لحكمته والأغرار 4 للهوه، والمتعلم من الأحداث ناشط في حفظ ما صار إليه من أمر يربط في صدره ولا يدري ما هو بل عرف أنه قد ظفر من ذلك بمكتوب مرقوم".

سنة في هذا العمل بالمعجم اللغوي الذي انتظم حكايات كليلة و دمنة التي و إن كانت شخصياتها حيواناتٍ إلا

أن حكّمها و عبّرَها تُجاوز الحيوان الناطق لتمس الإنسان...."

إن المتأمل في هذه الدرة النفيسة يلفيها زاخرةً بمعجم لغوي هو الذي صنع شهرة الكتاب في الحقيقة ، و لقائل أن

يقول : لكن الكتاب مترجم فما وجه إبداع ابن المقفّع فيه؟

و الجواب هو أن ابن المقفّع قد تخير للترجمة معجماً دقيقاً جامعاً مانعاً معبراً أيما تعبير عن الغرض الأصلي الذي

وضع من أجله الكتاب، و مُنعمُ النظر في سطورهِ و المتفحصُ للغة التي بُلّغت بها المقاصد سيجد في من روح اللغة

العربية و خصوصيتها بصمات لها كل الفضل في توجيه المعاني إلى ما أراده قوله المؤلف الأصلي للكتاب و لكن أيضا

ما أراد المترجم الأديب ابن المقفّع أن ينقله إلى القارئ، فكليلة و دمنة بهذا المفهوم تلاقح حضارات و تفاعل آداب و تداخل

حكايات وهو مولود بهي اللغة جميل العبارة غني المعاني...

في هذا العمل سنعالج باختصار أهم القضايا الدلالية للوحدات المعجمية التي اختارها ابن المقفع ليعبر بها عن مقاصد تجاوزت مجرد نقل كتاب من لغة إلى أخرى، إلى درجة أن القارئ قد ينسى وهو يسبح في أفق الكتاب الرحب أنها لم تكتب في الأصل بلسان عربي فصيح..وهنا يكمن إبداع ابن المقفع، و الإبداع الذي سنسلط عليه الضوء هنا هو الإبداع اللغوي إن صحّت العبارة.

و ستكون محاور البحث موزعة على أقسامٍ ثلاثة :

① دور المعجم في إبراز سلطة الكتابة الإبداعية و النّيش في أعماق الذاكرة

② فعل الكتابة الإبداعية كما يتجلّى من خلال العلاقات الدلالية بين المفردات

الترادف و التضاد نموذجين : تطبيقات على منتخبات من كليلة و دمنة

③ الذاكرة وعلاقتها بالخطاب الأدبي و الأخلاقي و السياسي في كليلة و دمنة.

① دور المعجم في إبراز سلطة الكتابة الإبداعية و النّيش في أعماق الذاكرة

تمهيد:

في ترجمته لكليلة و دمنة راح ابن المقفع بين الضرورات التي تمليها عليه الترجمة و سلطة الوفاء للنص في لغته الأصلية و تداعيات الذاكرة العربية الإسلامية و الواقع الثقافي و الأدبي و الاجتماعي و السياسي التي أراها أن تكون حاضرة في النسخة العربية من كليلة و دمنة، و بما أن لكل لغة خصوصياتها و لكل فعل كتابيةٍ عودٌ إلى الذاكرة فقد كانت النسخة العربية التي ترجمها ابن المقفع نسخة فريدة متفرّدة لم ترق عليها غيرها من الترجمات ، ذلك أنها كانت شاهدة على تمازج و تلاقح اللغات و الثقافات و الحضارات ، و لأنها خاطبت الإنسان في إنسانيته دون أي تمييز من أي نوع، و قد حرص ابن المقفع على أن تحمل ترجمته من روح اللغة العربية و ثقافة و حضارة العرب ما به قد تتحقق نهضة أخلاقية عن طريق ما تضمنه الكتاب من عبر و دروس أخلاقية و سياسية و اجتماعية، و لفعل الكتابة في هذه الدرة النفيسة

حضور لافت للنظر ، كيف لا و قد نقل الكتاب إلى اللغة العربية و هو يحمل خصوصياتها و يعبر عن الواقع السياسي و الاجتماعي و الثقافي للمجتمع العربي، كما أن لحضور الذاكرة فيه النصيب الأوفر فقد كان حقا رحما دافئا استدعت فيه الذاكرة ما به تطرد النسيان ، و الذاكرة كما عرفها عمر كوش في تقديمه لكتاب : " الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة " لجمال شحيد : ¹ وبالرغم من أن الذاكرة توحى بكل ما فارق الحاضر وارتحل، لكنها تبدو في الحالة الروائية رحماً دافئاً وجليلاً، أو بيتاً قديماً من بيوت الزمن والتاريخ التي حفرت عميقاً في الذاكرة، ولم يتمكن النسيان من محو صورها.

في الحقيقة لقد كان المعجم الذي اختاره ابن المقفع لترجمة ليلة و دمنة معجماً ثريا تتداخل فيه الحقول الدلالية تداخلا طريفا و عجيبا في آن، ففي كل قصة معجم مختار بدقة بالغة تتم عن ذكاء و قدرة كبيرة على اختيار المفردات و التراكيب التي تبلى في آن مقاصد المؤلف الأصلي و كذلك مقاصد المترجم ابن المقفع.

أ - المعجم الموظف في باب الحمامة المطوقة

إن الناظر في باب الحمامة المطوقة لواجد فيها فسيفاء من المفردات المتعاقبة فيما بينها المتصلة ببعضها البعض و إن تناقضت، فقد اختار ابن المقفع من ألفاظ و مفردات و تعابير المعجم العربي ما به بلغ مقاصده و عبّر عن غاياته ، و فيما يلي أمثلة دقيقة من المعاجم التي زخر بها باب الحمامة المطوقة والتي مكنت ابن المقفع من تقديم دروس أخلاقية و سياسية و اجتماعية و في آن عبّر من خلالها عن واقعه و تجلّى من خلاله فعل الكتابة فنا إنسانيا نبيل الغايات لطيف المقاصد .

*حكاية الحمامة المطوقة و الجرد:

اختار ابن المقفع معجماً راوح فيه بين ألفاظ تعبر عن موجودات محسوسة و ألفاظ تنتمي إلى عالم القيم و المجردة:

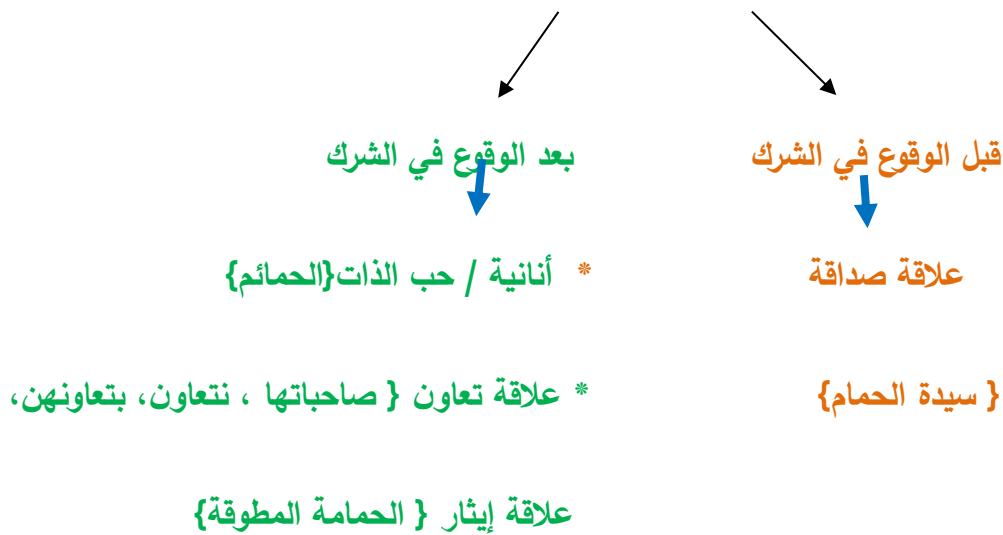
¹ عمر كوش ، تقديم كتاب جمال شحيد " الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة "

| معجم المجردات | معجم المحسوسات |
|--|--|
| معجم الطبائع : قبيح، سيئ، عداوة، شرّ | معجم الصيد : الصيادون، صياد، شبكة، عصا، مَنْ، حَبَالٌ، |
| معجم المشاعر: سلبية (-) : خوف، ذعر، شفقة، لل ، كسل (+) إيجابية: فرح، مسرور / | معجم الحيوانات : غراب، حمامة، حمام، جرد، |
| معجم القيم الإيجابية: الخلاص، التعاون، خير، ، ة، مودة، أنس، حسن الخلق، فل، تواصل، عقلاء، عروف، جزاء.... | معجم الطبيعة: أرض، شجرة، أغصان، ورق، شمس، قمر |
| معجم العلاقات: سلبية (-): الكذب عدو، عداوة إيجابية (+): إخوان الصفاء / بن/صديق/ مصادقة/ مودة / /أنس/تواصل/معروف/جزاء/ | معجم الأفعال المسيّرة لأحداث القصة: أفعال مادية ، نثر، مرّت، ، وَقَعْنَ، عَلِقْنَ، قَلَعْنَ، وَقَع.. أفعال معنوية مجردة : عَمِيَتْ ، آيَسَ |

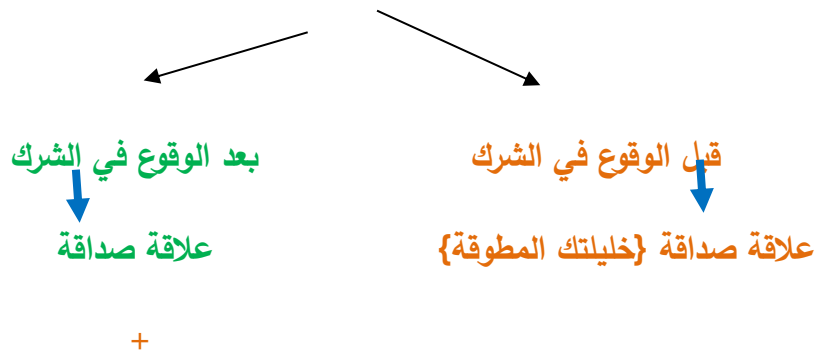
لئن حاولنا استجلاء المعاني الخفية التي تختبئ وراء القصد من انتقاء بعض الألفاظ بعينها للتعبير عن غايات أخلاقية و اجتماعية و سياسية بالأساس لوجدنا أن حضور معجم الصيد كان حضورا ذا أهمية بالغة كيف لا و الحياة أنما

هي غالب و مغلوب و صائد و مصيد ، و لعل هذا ما جعل حضور معجم الصيد في أكثر من قصة لدليل على ينطوي عليه فعل المعجم من دلالات رمزية و معان تعبيرية، و حين يتحد معجم الصيد مع معجم الطبائع و القيم و العلاقات تتضح أكثر فأكثر ما غايات ابن المقفع في تحذير و إرساء معالم منظومة قيمية و أخلاقية مثالية تتجاوز الرذائل طموحا إلى الفضائل ، و قد بدا هذا جليا في تصور طبيعة العلاقة بين الحمامة المطوقة و صويحباتها من الحمام من جهة و بين الحمامة المطوقة و الجرذ من ناحية و بين الحمام فيما بينها من ناحية أخرى، و قد اختلفت هذا لعلاقات باختلاف طبيعة شخصياتها و سنرصد هذه العلاقات في لحظتين زمنييتين فارقيتين:

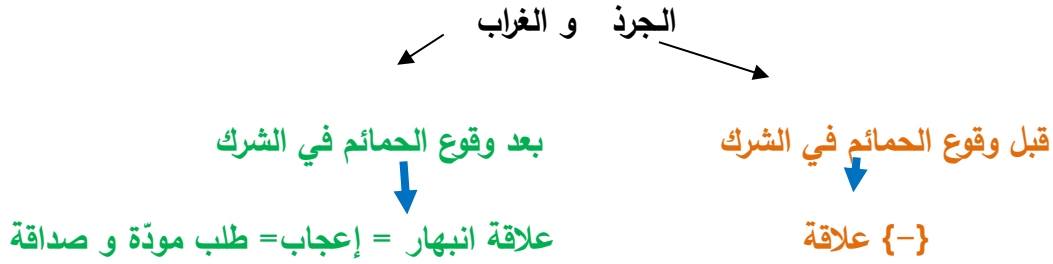
الحمامة المطوقة و الحمام



الحمامة المطوقة و الجرذ



شعور بالخيبة { ما أوقعك في هذه الورطة؟



لقد كان المعجم الذي خصصه ابن المقفع لرصد أبعاد مختلف هذه العلاقات بين شخصيات القصة واقعا بين فكي القيم الإيجابية و القيم السلبية رغم أنها لا تسمى قيما متى حملت بين طياتها صفة السلبية:



الخلاص، التعاون، خير، ، مصادقة، مودة، أنس، حسن الخلق، تواصل، عقلاء، معروف، جزاء المعروف...

معجم الطباع السلبية

قبيح سيئ

وإذا أنعمنا النظر في المفردات ذات المعنى الإيجابي و المفردات ذات المعنى السلبي سنجد أنها مختلفة من حيث

الكم:

مفردات ذات معنى إيجابي: فرح، مسرور، الخلاص، التعاون، خير، ، مصادقة، مودة، أنس، حسن الخلق، تواصل، عقلاء، معروف، جزاء، إخوان الصفاء، الأصفياء، المتعاونون، المتحابين، صديق، مصادقة، مودة، خلاص ، معروف، جزاء، المعروف، أنس، تواصل.....

مفردات ذات معنى سلبي: خوف، زعر، شفقة، فتور، ملل ، كسل، الكذوب عدو، عداوة، قبيح سيئ

و لهذا التفاوت الكمي دلالاته العميقة ، فمن يريد أن يبني و يشيد ليس مكن يسعى للهدم و التقويض، و اللغة في فعل الكتابة سلطة على الواقع، و لفعل الكتابة على اللغة سلطة و لواقع على فعل الكتابة و على اللغة سلطة أيضا، وكل عنصر من هذه العناصر يتفاعل مع غيره من العناصر بطريقة خاصة و متميزة، فأحيانا يوجه الواقع فعل الكتابة التي

بدورها توجه اللغة و تطوعها و اللغة بدورها تدعو الذاكرة و تستدعيها ، و أحيانا أخرى توجه اللغة الواقع عبر فعل الكتابة و تُخضعه لسلطتها و لسلطانها قصد محاولة تغييره، و في الحقيقة فقد سجّلت هذه العلاقات التفاعلية بين الكتابة و اللغة و الذاكرة حضورها في كليلة و دمنة، فقد سعى ابن المقفع إلى تغيير واقعه عبر فعل الكتابة و طوّع اللغة لتكرس قيم أهمّ لها الراعي و نشدتها الرعية في عصره وفي كل العصور التي سبّقته، لذلك كان كتاب كليلة و دمنة شاهدا على الذاكرة الجماعية العربية الحية ، ذاكرةً أحيائها فعلُ الكتابة و قد هدّدها النسيان و التناسي...فعلُ الكتابة الإبداعية الذي حفظ الذاكرة و حماها حين دعاها و استدعاها فاتصل بها و انفصل عنها، و جاورها و نافرها، بل تمسك بها و تخلّى عنها في الوقت نفسه ، ففعل الكتابة في نهاية الأمر عملية انتقائية تتقلّب فيها الكتابة ما تريد تذكره من أحداث و وقائع و تُلقِي في غياهب النسيان ما تريد تناسيه...و اللغة بينهما خادم مطيع و طفل وديع تارة و سيّد أمر تارة أخرى، و لعل هذا ما جعل العلاقة بين الكتابة و الذاكرة في كليلة و دمنة علاقةً غريبةً عجيبةً في آن، فهي تلازمية من جهة أن لا معنى لأحدهما إذا ما غاب الآخر .

لا قيمة للكتابة الإبداعية و الذاكرة في برجها العاجي مُخْتَفِيَةً ، و لا قيمة للذاكرة وهي بترأء لا كتابةً إبداعية تُجذِّرها و تُحييها و لا رسمَ و لا وسمَ على خط الزمن من عواصف النسيان يحميها ، فذاكرة المجتمع العربي كما كشف عنها ابن المقفع في مفاصل كثيرةٍ من الكتاب لم يكن للحفاظ عليها من سبيل إلا عن طريق كتابتها و توثيقها و جعل اللغة بما تحمله من خصوصيات شاهدةً على قيمتها و أهميتها . ، لذلك كان حضور القيم الإيجابية حضورا لافتا للنظر في جلّ أبواب الكتاب، و هذا ينسحب على الباب الذي ولجنا إلى عالمه و حاولنا سبر أغواره الدلالية و الرمزية، و لما كانت الفضائل أعلقَ بالنفس البشرية من الرذائل فقد جعل ابن المقفع لقيم المحبة و الإخاء و الخير و التعاون و الإيثار سلطةً على ما تنبذه النفس السوية من شرّ و عداوة و أنانية و سوء طبع "...قالت المطوّقة :لا تتخاذلن في المعالجة ولا تكن نفس إحدانك أهمّ إليها من نفس صاحبته، ولكن نتعاون جميعنا....".

لقد كان المعجم الذي حفل به باب الحماسة المطوّقة و الجرد معجما ثريا بما انطوى عليه من مفردات مشحونة بالمعاني و الدلالات تجذّر القيم الإنسانية و تدعو إليها، و قد بدا المعجم في هذا الباب جسراً تواصل فيه فعلُ الكتابة و

سلطته مع الذاكرة و خصوصياتها فكان أن بنى فعل الكتابة صرح الذاكرة و كان أن سلطت الكتابة على الذاكرة أحكامها اللطيفة و خيّرت و تَخَيَّرت منها ما تريد.

ب- المعجم في "مثل الفأرة التي خُيِّرَت بين الأزواج"

إن المتأمل في المعجم الذي حفل به باب "مثل الفأرة التي خُيِّرَت بين الأزواج" لواجد فيه ثراء معنويا رغم محدودية الألفاظ التي وظفت في النص، و أهم المعاجم التي سجلت حضورها في هذا الباب نذكر:

معجم ديني : ناسك، مستجاب، دعوة، دعا، ربه، الله

معجم الحيوانات : حدأة، درص، فأرة، الجرذ،

معجم المشاعر و الأحاسيس: رحمة، خافت،

معجم المفردات المتعلقة بالعائلة: أهل، جارية، امرأة، ابنة، ولد، زوج

معجم الطبيعة: الشمس، القمر، السحاب، الريح، الجبل

معجم الأفعال المسيرة لأحداث القصة: مرّت، وقعت، لفّها، دعا، تحولت، انطلق، كُيِّرَت، اختار، طلبت، أدلّك، غطّى، هبّ،

حرّك، خرّق، دعا، أعادها.

و قد مكّن هذا المعجم الثري من الكشف عن العلاقات الرابطة بين مختلف العناصر المؤثثة لهذه القصة، فهي

علاقات كشفت عنها مجموعة من المفردات المنتمية إلى معجم ذوات ماديّة و معجم ذوات معنوية:

| ذوات ماديّة | ذوات معنوية |
|--|----------------------|
| ناسك ، حدأة ، در ، فأرة، جرذ، جارية، امرأة، ابنة، ولد، زوج، الشمس، القمر، السحاب، الجبل، | رحمة، الدعوة، الريح، |

هذه العلاقات تتميز باختلافها و تراوحها بين الاتصال و الانفصال من ناحية و

و الهيمنة والخضوع من ناحية أخرى.

المعجم الموظف في للتعبير عن العلاقة بين مختلف الذوات المادية المذكورة في النص { إنسان - حيوان - جماد - عناصر من الطبيعة }

| الناسك - الله | الناسك - الجار | الجارية - الشما | الشمس - السحاب | السحاب - الريح | الرياح - الجبل | الجبل - الجرد |
|-----------------------------|---------------------------|-------------------|------------------|----------------|---------------------------|---------------------------|
| دعوة - استجابة | اتصال = طاعة | رغبة # رفض | هيمنة / قوة / = | هيمنة / قوة / | قوة / سيطرة = | قوة / سيطرة = الجرد |
| فدعا ربه أن يحولها " أمّا " | "أيها الخلق | السحاب | =الرياح | الجبل | # | # |
| جارية فتحوّلت | إذا خيرتني فإنّ العظيم لي | # | # | # | رضوخ / استسلام = الج | رضوخ / استسلام = الج |
| جارية حسناء | زوجًا يكون أق | جارية وقد | رضوخ / استسلام = | رضوخ / استسلام | رضوخ / استسلام | بل |
| الأشياء " | طلبت زوجًا | الشمس | = | = | "القول فأجابه الجبل | "القول فأجابه الجبل |
| يكون أقوى | الأشياء فهل أند | "أنا أدلك على | السحاب | الرياح | وقال له :أنا أدلك | وقال له :أنا أدلك |
| متزوجها " | الذي يغطيني ويردّ | منى، السحاب | "فقال | "فقلت :وأنا | على من هو أقوى | على من هو أقوى |
| | شعاعي ويكسف أش | منى، السحاب | السحاب :وأنا | أدلك على من | مني :الجرذ الذي لا | مني :الجرذ الذي لا |
| | أنواري " | الذي يغطيني ويردّ | أدلك على | هو | أستطيع الامتناع منه | أستطيع الامتناع منه |
| | | من هو أقوى منى | أدلك على | أدلك على من | إذا خرقتني وأتخذني | إذا خرقتني وأتخذني |
| | | فأذهب إلى الريح | أدلك على | أدلك على من | الذي لا أقدر على مسكنًا . | الذي لا أقدر على مسكنًا . |
| | | تحريكه . | | | | |

② فعل الكتابة كما يتجلى من خلال العلاقات الدلالية بين المفردات المترادف و التضاد نموذجين

سندرس العلاقات الدلالية بين المفردات انطلاقًا من نظرية الحقول الدلالية، ففيم تتمثل

هذه النظرية؟

1- تعريف نظرية الحقول الدلالية:

يعرف جورج موان الحقل الدلالي على أنه "مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تدرج تحت مفهوم عام يحدّد الحقل"²(23)، فالحقل المعجمي بهذا المعنى مجموع الكلمات التي تتربط دلالياً فيما بينها ويجمعها مفهوم عام تدرج هذه الكلمات ضمنه".

يقول الدكتور محمد خالد الفجر معرّفاً نظرية الحقول الدلالية :

³ فنظرية الحقول الدلالية تقوم على تجميع كل مفاهيم الكون، أو بعضها وفق حقول تمثلها كلمات مركزية، وتتفرع عنها كلمات تتحد معها بالمفهوم العام، ويعتمد فيها على علاقات يمكن استناداً إليها بناء عناوين الحقول وما يندرج ضمنها من كلمات. والمعجم المصنف وفق الحقول الدلالية، لا بد أن تتوفر فيه تلك الأسس السابقة، لأنه يمثل تجميعاً لمفاهيم عامة، تربط كلمات تنتمي إلى مقولات كلية، حتى يستطيع القارئ فهم الكلمات اعتماداً على علاقتها بعضها ببعض".

و تقسم الحقول الدلالية champs sémantique إلى عدة أنواع أهمها :

1. المترادفات : و هي المفردات التي تعبر عن نفس المعنى العام مع فوارق معنوية و دلالية تميزها من بعضها البعض، و الترادف ما اختلف لفظه و اتفق معناه حيث تشترك مجموعة من الوحدات المعجمية في الدلالة على معنى مشترك بينها مع فروق معنوية بسيطة قد تميز بعضها من البعض الآخر، و للترادف من العلاقات الدلالية الهامة التي تسعف المرء لأنها توسع أفق تعبيره و تضع له من الخيارات اللغوية ما به يبلغ مقاصده.

2-المتضادات و المتضادات في الحقيقة تستدعي بعضها بعضاً و بضعها تنمايز الأشياء و تعرف، فلا معنى للحب دون استحضار مفهوم الكره، و لا قيمة لشيء إلا حين أميزه عن الأشياء التي تتناقض معه، و التضاد هو أن تعبر

د. أحمد عزوز، أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية ، ص 13

د.محمد خالد الفجر ، نظرية معاجم الحقول الدلالية و إرهاباتها في " فقه اللغة و سر العربية" للثعالبي (ت 429 هـ)

الوحدة الدلالية عن معنيين مختلفين أو بالأحرى متضادين و تعتبر ظاهرة التضاد من أهم الظواهر الدلالية التي ميزت المعجم في كتاب كليلية و دمنة و سنقدم أمثلة على ذلك.

أ- الترادف:

وهو ظاهرة دلالية لافتة للنظر في كليلية و دمنة كشفت عن علاقة وطيدة تجمع بين الكتابة و سلطتها و الذاكرة و تداعياتها. فقد كانت هذه الظاهرة وسيلة تعبير بليغة المقاصد كيف و لا وهي التي تؤسس لفعل الكتابة من جهة و تكشف عن ثراء الذاكرة من جهة أخرى، و يبدو ذلك جليا من خلال استدعاء جملة من المفردات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد، و كأننا بابين المققع في تعريبه لكليلية و دمنة قد انفرط منه عقد اللغة و طفق يعدد *énumération* المفردات و يوقظها من سباتها في رحم الذاكرة و يستدعيها لتكون شاهدة على عظم فعل الكتابة من جهة و على ثراء الذاكرة من جهة أخرى و فيما يلي بعض الأمثلة:

| باب الحمامة المطوقة | باب البوم و الغربان | مثل الأسود و ملك الضفادع |
|--------------------------|---------------------|--------------------------|
| المتحابين = إخوان الصفاء | تضرع=ملق | الكآبة = الحزن |
| الإخوان = الأعوان | مكسور=منتوف | دعا = لعن |
| قبيح= سيئ | الحوادث و النوازل | مقرّ = راض |
| فرحا=مرورا | يضعّف = تدلّ | رفق = لين |
| تمل = تكسل | | |
| رغبة = مودة | | |

فاستدعاء هذه المترادفات و غيرها من الأمثلة كثير لا يحصى ولا يعدّ إنما يتم بالنبش في أعماق الذاكرة المعجمية و حفظها لها من الضياع و النسيان يوثقها فعل الكتابة و يحفظ دلالاتها و يصون خصوصياتها و يجعلها منفتحة على كل أنواع القراء، كيف لا وهو يعتمد معجما يفهمه القارئ البسيط و معجما آخر خصصه للقارئ المتمرس في

اللغة العربية و المحيط بدقائقها و العارف بها المُتمكن منها و قد مكنت ظاهرة الترادف من تحقيق هذه الغاية إذ هي تُنوعُ اللفظ و توحدُ المعنى.

ب- ظاهرة التضاد

إن الحديث على التضاد لحديث ذو شجون..لكن الشجون هاهنا هي شجون لغوية...

فتنائية الهدم و البناء التي كانت من أهم الأسباب التي وُضِعَ من أجلها الكتاب ثنائية حاضرة في ثنايا الكتاب، فنحن غن نظرنا إلى الكتاب الأصلي أو الكتاب المعرَّب سنجد أن حضور ظاهرة التضاد حضور ضروري ذلك أن التعبير عن الخير و الشر و عن ما هو موجود و ما هو منشود لا بدّ أن نطوع له ظواهر معجمية و دلالية تكون همزة الوصل بين الكتابة و الذاكرة، فالذاكرة هي التي تسعف الكتابة و هي التي توفر لها من تحتاج إليه من مفردات تعابير.

و سوف نقدم عينة بسيطة من المتضادات ذلك أن كتاب كليلة و دمنة كنز معجمي و دلالي يصلح لأن يكون مادة معجمية هامة لقاموس يجمع بين الأخلاق و السياسة و الأدب...

ففي باب الحمامة المطوقة وظف ابن المقفع جملة من المتضادات نذكر أهمها:

مودة # عداوة

سريع # بطيء

اتصال # انفصال

كريم # لئيم

رغبة # رهبة

صديق # عدو

هذه المفردات التي جمعت بينها معانٍ متضادةً عبرت عن تلك الرغبة الساكنة في النفس البشرية في تجاوز الموجود إلى المنشود و كأننا بكتاب كليلة و دمنة معجم بما تحمله الكلمة من معانٍ و دلالات، فهو إذ جمع بين المعنى و

نقيضه إنما يَصِلُ و يفصِلُ و يهدم و يبني و يعلم و يتعلم فهو خطاب للذات و من الذات ذلك أن الكتابة الإبداعية في لحظة ولادتها تكون ناطقةً بلسان منشئها...معبرةً عنه ، مُعَرِّيةً لما اختفى داخل ذاكرته حيرةً ذاتية و قضايا وجودية طوع اللغة لتتفُض عنها غبار الزمن كيف لا و فعل الزمن فعل محو ونسيان قبل أن يكون فعل بناء ذاكرة الإنسان، ذاكرة كسولة تارة و نشيطة تارة أخرى، غادرة تارة ووفيةً طوراً، مخادعة أحياناً و صادقة أحياناً أخرى، و لا عجب في ذلك و هي التي تعاضد بالإبداع إذ تفتح له أبوابها و تعصف به إذ تغلقها دونه....

و لعل هذا ما جعل علاقة الكتابة الإبداعية بالذاكرة علاقة اتصال و انفصال في آن ، علاقة نتساءل عن منزلة القارئ بينهما و تلك لعمرى لإشكالية كُبرى ليس هاهنا مجال الخوض فيها و لكنه سؤال يفرض نفسه علينا: بعبارة أخرى هل يرسم الكاتب للقارئ حدوداً لا يتجاوزها و يقيدّه بسلاسل اللغة و يأسره في سجونها؟ و لتكون ذلك السفر و يقدمها في قائمة فالكاتب في لحظة إنشاء نصه يتخير معجمه و يرسم لنفسه أفكاراً يعبر عنها من خلال اللغة.